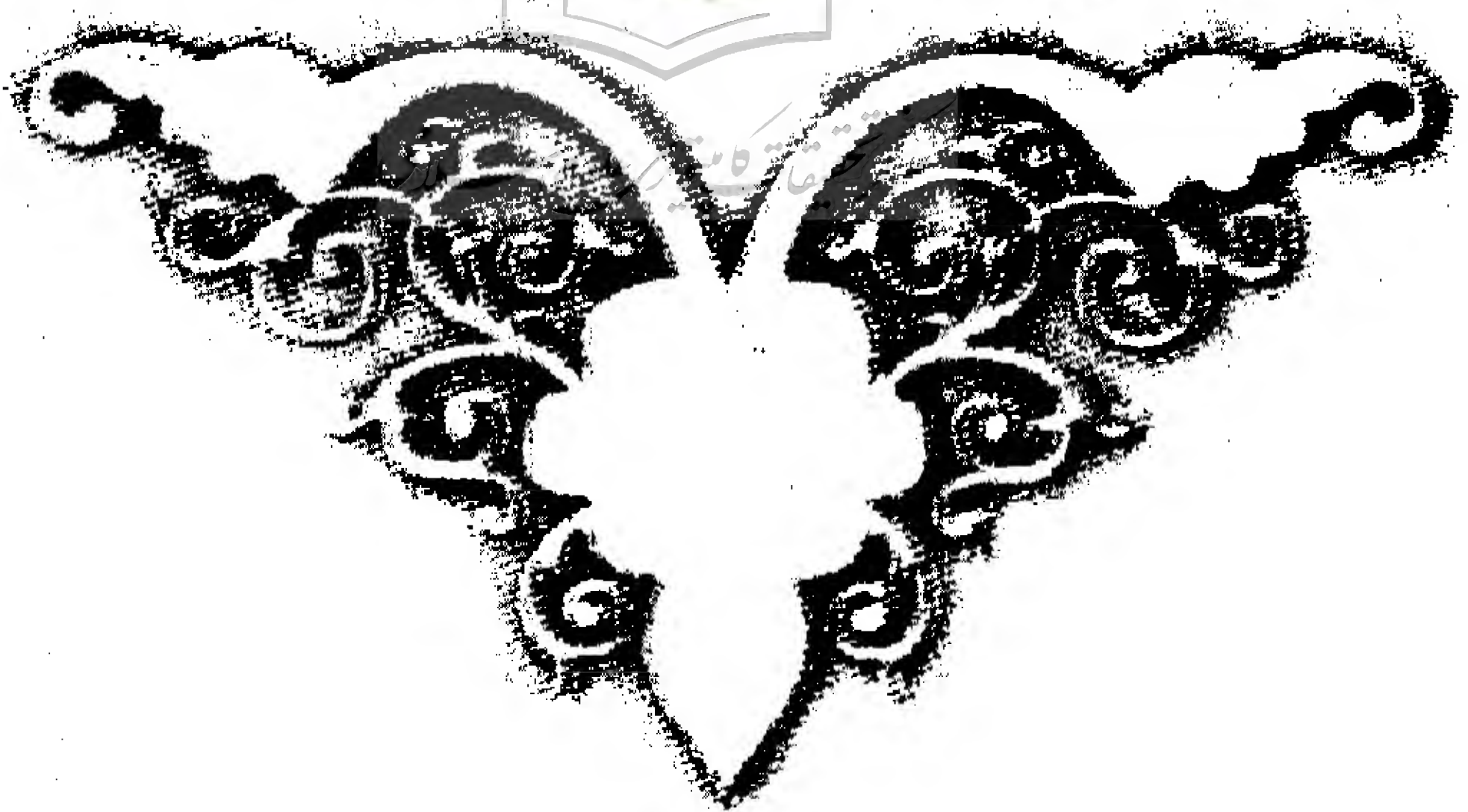


الابحاث والدراسات



تکثیر و نشر
کتابخانه
پایه اول
نایب
۱۳۴۴



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

من أصول الكلم الإسلامي

الأستاذ الدكتور: إبراهيم السامرائي

أبدأ هذا العمل الذي كان لي فيه مشاركات قديمة بسطتها في مؤتمرات مجمع اللغة العربية في القاهرة في سنواتٍ خلت، وقلت بعد ما رأيت «الإسلام اليوم»^(١) لا بد لي أن أخصها بشيء يتصل بـ «عربية الإسلام» فأجول في بعض كلمٍ قديم لم يكن للقدامي من لغويين وغيرهم أن بسطوا القول فيه، على ما كان لهم من مشاركات أصيلة. غير أن هذه المجلة معاصرة، فليس من اهتمامها ما أنا فيه من ذهاب إلى عربية إسلامية فلسفية، وسأبدأ رحلتي مستقرباً موادّي في التنزيل العزيز فأقول:

١- إنس:

أقول: وردت «الإنس» في آياتٍ عديدة مقرونة بـ «الجن» كما في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي، عدواً شياطين الإنس والجن﴾^(٢). ووردت «الإنس» في بعض الآي متلوّة بـ «الجان» التماساً للفاصلة كما في سورة الرحمن: ﴿فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنسٌ ولا جان﴾^(٣).

وأقول: كأن المعربين عرفوا سعة العربية فاهتدوا إلى الفعل إدراكاً منهم لدلالة «الإنس» فكان منه كما في قوله من يقول: أنستُ لدى صاحبي مروءةً وصدقاً. وليس هذا بعيداً عن دلالة «الأنس» بضم الهمزة على ما هو سار، و«الأنس» هو الفرح والحبور. وذهبوا إلى أبعد من هذا فكان لهم «آنس» وهو «أفعل» للدلالة على

(١) «الإسلام اليوم» مجلة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ومدير المنظمة العام عبد العزيز بن عثمان التويجري.

(٢) الآية ١١٢ من سورة الأنعام، وسأرجىء الكلام على «الجن» ليأتي في موضعه في حرف الجيم.

(٣) الآية ٣٩ من سورة الرحمن.

لقاء الشيء ووجدانه كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنشَأْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَيَسٍ﴾^(١). وأقول: إن «الإنسان» من هذا والألف والنون فيها لتوليد بناءٍ يكثر في الصفات والأسماء كالعطشان والحيوان، وأما ما كان بفتححتين فقد ذهب به إلى المصادر كالجولان والطيوان. وأترك هذا لأبحث في أصل «الأنس» من الناحية التاريخية فأجده كلمة تومي إلى الصوت^(٢) وهي في الثنائي «إس».

وقد ذهب المعربون من هذا الثنائي إلى البناء الثلاثي «إس» بتضعيف السين ليصلوا إلى حاجتهم في الكلام.

أقول: وكثيراً ما تصرف المعربون في المضاعف ففكوا تضعيفه واستبدلوا بأحد المضعفين نوناً أو ياءً، فكان أن ولدوا «إنس» كلمة من أسماء الجمع صُرفت للواحد والواحدة^(٣) والمثنى والجمع بنوعيه، قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾^(٤). قلت: وقد كان للمعربين من هذا «أيس» وصرفوه لمعنى ما هو كائن موجود. وليس هذا في العربية إلا ما نقل عن الخليل بن أحمد في «كتاب العين».

(١) الآية ١٠ من سورة طه.

(٢) قال الفلاسفة المسلمون في «الصوت»: إنه علاقة القارع بالمقروع، والقالع بالمقلوع، من حيث هو. أقول: وكأنهم أفادوا من قول صاحب المنطق أرسطو في كتاب «النفس» في «شرحه» وهو «الشرح الكبير الذي صنّفه ابن رشد» (نشر بيت الحكمة - قرطاج ص ١٥٥).

(٣) أقول: مثل هذا «الأنس» بدلالته على العامة مفرداً ومثنى وجمعاً بنوعيه. وكأن الشعراء أدركوا أنهم أصحاب العربية ومالكوها، فأحدثوا فيها شيئاً لا يقرّه علماء اللغة، ومن هذا ما رأيت في مخطوط لم يُعرف صاحبه «إنسانة في بيت» لأبي فراس الحمداني: وفيّ وفي بعض الرّفاء مذلة لإنسانة... وهي «لأنسة» في الديوان. قلت: كان الشعراء أصحاب سطوة حتى كان أن يسخروا من النحويين؛ كما كان من هذا للفرزدق مع عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي الذي حمل قول الفرزدق على اللحن:

وعفّى زمان يا ابن مروان لم يدع
من الناس إلا مُسَحَّناً أو مجلّف
قائلاً للفرزدق: على أي شيء عطف «مجلّف»؟ فردّ الفرزدق غاضباً: على ما يسوءك وينوءك.
انظر هذا الخبر في ترجمة الحضرمي في «نزهة الألباء» للأنباري وسائر كتب طبقات النحويين.
وقد عُرف أن الوصف «كسول» للمؤنث، ولكن هذا لم يمنع الشاعر القديم أحيحة بن الجلاح أن قال:

فلا وأبيك ما يُغني غنائي
من الفتيان زُمَيْلٌ كسول
وكذلك الراعي النميري:

طال التقلب والزمان ورابه
كَيْلٌ ويأبى أن يكون كسولا
وقالوا في «العجوز» صفة مؤنثة، ولكنهم توسعوا فقالوا: رجل عجوز.

(٤) الآية ١٣٠ من سورة الأنعام.

جاء في «لسان العرب»^(١):

وقال الليث [بن المظفر]: «أيس» كلمة أميتت، إلا أن الخليل ذكر أن العرب تقول: «جيء به من حيث أيس وليس».

قال الليث: ولم تستعمل «أيس» إلا في هذه الكلمة [أراد بـ «الكلمة» الجملة]، وإنما معناها كمعني «حيث هو» في حال الكينونة والوُجُد. وأضاف: إن معنى «لا أيس» أي لا يوجد.

أقول: وكأن أصل ما قاله الخليل: «جيء به من حيث أيس ولا أيس»، وقد صرّف الناسخ جهلاً منه هذه الكلمة المفيدة من الناحية التاريخية فأثبت «ليس» والصواب: لا أيس^(٢).

أقول: وكما توسعوا في «إيس» وزادوا في بنائها فكان لهم «إنسان»، كذلك أفادوا من «أيس» وجعلوها «إيسان» وقالوا: «الإيسان» لغة في «الإنسان» وهي صائبة، قال عامر بن جرير الطائي:

فيا ليتني من بعد ما طاف أهلها هَلَكْتُ ولم أسمع بها صوت إيسانها^(٣)
وأقول أيضاً: لقد أدركت كلام الخليل وأدركه قبلي الفلاسفة المسلمون؛ ومنهم الفيلسوف الكندي^(٤) الذي عرف أن «الأيس» يعني «الوجود»، و«الليس» يعني نفي الوجود. وقد كتب رسالته الموسومة بـ «الأيسيات والليسيات». لقد أشار إلى هذه «الرسالة» العالم الأمريكي مكارثر في كتاب له عن «مصنفات الكندي».

وكان فلاسفة المسلمين قد سبقوا فلاسفة عصرنا هذا في كتابتهم في «الوجود والعدم» وكان من الكاتب الفرنسي «جان بول سارتر» أن عُرِف بكتابه المشهور: L'Être et Le Néant^(٥). وأعود إلى «الأيس» الوجود فأراه «الإنسان» في لغة الطائيين «إيسان» كما

(١) لسان العرب «أيس».

(٢) وقد ذهب الخليل بن أحمد إلى أن «ليس» مركبة وأصلها «لا أيس». وقد يكون مفيداً أن نلمح خطأ النحويين في اعتبار «ليس» فعلاً جامداً، وهي كلمة نافية كما يدل الأصل، صار لها استعمال خاص في العربية.

(٣) لسان العرب (أنس).

(٤) الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح، فيلسوف العرب والإسلام في القرن الثالث الهجري، نشأ في البصرة وانتقل إلى بغداد، فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك. ومصنفاته تربي على ثلاثمئة، وتوفي في سنة ٢٦٠ هـ. انظر: الفهرست لابن النديم (ط. فلوجل) ص ٢٥٥ - ٢٦١، والأعلام للزركلي (الطبعة الثالثة).

(٥) دار النشر (NRF) الفرنسية.

أشرت، وهذه أتبينها في «إيش» في اللغة العبرانية (יש) بمعنى «الرجل».

ولم يَحْكُ شيء في نفس الخليل بن أحمد فيما كان بين «الأيس» وبين غيره من الكلم من وشيجة رحم أراها موصولة غير مقطوعة، وهأنذا أبسط ما لديّ من هذا فأقول:

لم يكن لنا من هذه القُرْبَى اللغوية غير مقلوب «أيس» وهو «سَيء» الذي أراه في «شيء»، وبين السين والشين كان الإبدال الذي ذكره اللغويون. لقد أدرك هذه الظاهرة اللغوية مجد الدين الفيروزآبادي صاحب «القاموس المحيط» في مصنف له استوفى فيه ما كان من هذا البذل^(١).

أقول: لا بدّ من بسط الأمر في هذا قبل إثبات ما كان للغويين الأقدمين في «شيء». إن «الشيء» واحد الأشياء^(٢)، وما أراني ذاهباً إلى أن الفعل «شاء» أصلٌ للاسم «شيء»، بل أقول: إن المعربين قد اهتموا إلى أن الفعل قد أُخِذَ من الاسم لشيوع الاسم في الاستعمال.

أقول: ومن دلالة «شيء» معنى الوجود، وهو في هذا يبتعد عن دلالة الفعل وهي «الإرادة» كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾^(٣). وقد كان لهذا الفعل حضور وافٍ في لغة التنزيل. وكان لهذا الفعل دلالة لما هو كائن موجود، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤). «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء»^(٥). ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٦).

وأقول: قد استعملت «شيء» في لغة التنزيل العزيز في سياق ما هو منفي لاستغراق النفي كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٧). ﴿وَلَا يَقْدَرُونَ

(١) أقول: هو كتابه «تحرير الموشين في ما يقال بالسين والشين».

(٢) أقول: لعل مما قصر فيه أصحاب المعجمات، وهم أهل لغة، أنهم لم يزودوا طالب العلم بالأصول، فقد جاء في «لسان العرب»: الشيء معلوم [كذا]. أقول: وهذا ناقص لا تكون به فائدة كبيرة. واستشهد صاحب «اللسان» بقول سيويه حين أراد أن يجعل المذكر أصلاً للمؤنث، فقال: ألا ترى أن «الشيء» مذكر، وهو يقع على كل ما أخبر عنه؟

(٣) الآية ٢٠، سورة البقرة.

(٤) الآية ٢٠، سورة البقرة.

(٥) الآية ١١٣، سورة البقرة.

(٦) الآية ٥، سورة آل عمران.

(٧) الآية ٢٥٥، سورة آل عمران.

على شيء مما كسبوا^(١). ﴿وما يضرّونك من شيء﴾^(٢). ﴿ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً﴾^(٣). ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾^(٤). ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً﴾^(٥).

وقد جاءت الكلمة مجموعة كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم﴾^(٦).

أقول: وقد يقول قارئ هذا الدرس: لِمَ لم يكن لدى المعربين القدماء كلمة «أَيْش» بالشين على البدل من «أَيْس»؟ والجواب عن هذا أن الأصل «أَيْس» كان مما أُميت من الكلم كما ذكر الخليل بن أحمد في القول الذي تقدم. ولم يبق إلا كلمة «شيء» التي لمحوها فيها معنى «أَيْس» على القلب.

وأتحول إلى مادة أخرى هي «أَهْل».

ولا أريد أن أذهب في «أهل» في سعتها فأجد «الأهل» للرجل معنى أسرته، وقد يذهب بها إلى خصوص وتعني زوج الرجل، وهذا معروف في الألسن الدارجة.

وجاء «أهل الكتاب» في آيات عدة ودلالاتها معروفة، و«أهل المدينة» و«أهل القرى». وجاءت مجموعة جمع سلامة على «أهلون وأهلين».

وأريد أن أقف على «أهل البيت» لدلالاتها الخاصة من الناحية التاريخية، كما في قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله أن يُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾^(٧). ولم يقرأ في هذه الآية «آل البيت»، غير أن «آل البيت» قد اتسع فيها الكلام، وكان لأهل التأويل فيها آراء، وسأتي على هذا.

وقد وردت «آل» في لغة التنزيل في آيات كثيرة نحو «آل فرعون، وآل موسى، وآل هارون، وآل عمران، وآل يعقوب، وآل لوط، وآل داود».

(١) الآية ٢٦٤، سورة آل عمران.

(٢) الآية ١١٣، سورة النساء.

(٣) الآية ٦٤، سورة آل عمران.

(٤) الآية ٦٠، سورة مريم.

(٥) الآية ٤١، سورة الدخان.

(٦) الآية ١١٢، سورة المائدة.

(٧) الآية ٣٣، سورة الأحزاب.

وقد يكون لي أن أتحوّل إلى «آل»^(١) فأذهب إلى أن أصلها «أُل» بهمزتين على «فعل»، وهذا سبيل اهتدى إليه المعربون للتخلص من ثقل اجتماع الهمزتين.

وقد كان للمُعرب القديم أن اهتدى ثانية إلى «أهل»، غير أن «الآل» في مصطلح الناس «آل البيت» قد حلّ محلّ «أهل البيت» الذي ورد في لغة التنزيل.

وكأن الذي جرى عليه المسلمون وغيرهم أن «آل البيت» هم آل بيت رسول الله ﷺ، وهم أهله. فمن هم أهله؟

قيل: هم فاطمة الزهراء ابنته، وخديجة الكبرى أولى أمهات المؤمنين التي اقترن بها الرسول قبل أن يصطفيه الله رسولاً ويكلفه برسالته إلى العالمين نبياً، وقد شهدت معه ما لقيه من العناء في دعوته. وبعد أن توفيت السيدة خديجة واقترن بأزواجه^(٢) فكُنّ من آل بيته أمهات المؤمنين. ثم إن من أهل هذا البيت الذي شرفه الله - تعالى - وطهره ابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وكأن أهل الرأي قد ذهبوا إلى هذا، غير أن آخرين قد خالفوهم فجعلوا «آل البيت» حصراً في علي بن أبي طالب وفاطمة وبنيتها الحسن والحسين - رضوان الله عليهم^(٣).

- (١) قلت: إن «آل» وردت في لغة التنزيل في آيات عدة كما أشرت، وكأنها اكتسبت معنى الشرف والنباهة. ومن المفيد أن ألمح بدايتها في الألف واللام التي عرفناها للتعريف في الأعلام. وهذه الأداة قد تأتي زيادة وتشريفاً إن اقترنت بالأعلام التي هي معرفة بالعلمية نحو الحسن والحسين والعباس. وقد اختلفت العربية بالألف واللام في حين خلت منها كثير من اللغات القريبة من العربية، فلم تكن أداة التعريف في اللغة السريانية، وكأن الألف في آخر الألفاظ السريانية قد سُدّت مسدّها. وفي العبرانية هي الهاء المفتوحة في أول الكلام، وهذه الهاء تقتضي تشديد الأحرف الشمسية في أول الأسماء كقولهم: (אֱלֹהִים) نظير ما في العربية في الحروف الشمسية كقولنا: «الشمس» واللام لا يُنطق بها وإن ثبت في الرسم، وكأن أصل أداة التعريف في العبرية هو «هل» (ה) كما تدل على ذلك الكتابات القديمة، فلما طويت اللام مع الأصوات الشمسية حُذفت، وشمل الحذف غير الأصوات الشمسية، وعوّض من المحذوف تشديد الحرف الأول الشمسي، ومع غير الشمسي حركة طويلة للهاء نحو (הוא). والهاء والهمزة يعرض لهما الإبدال، وهذا كثير في العربية نحو ألا وهلا تخفيفاً وتشديداً وغير هذا.
- (٢) أقول هؤلاء هم آل بيت الرسول كما أشارت الآية الكريمة الذين فرض الله علينا محبتهم كما قال الشاعر: [من البسيط]

- بِأَلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ فَرَضَ مِنْ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلُهُ
أَلَمْ يَكُنْ جَاءَنَا مِمَّا يَكُونُ بِهِ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ
- (٣) وأقول: ومما ورد في الأثر أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقف على الزبير بعد واقعة الجمل، وهو قتيل، فقال: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى شبه له هذا الغلام، وأراد ولده عبد=

ولا بدّ أن أعرض لما جاءنا من ذلك في هذا فأقف على قول أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، قال: اختلف الناس في «الآل» فقالت طائفة: آل النبي ﷺ، من اتبعه قرابة أو غير قرابة، وآله ذو قرابته متبعاً أو غير متبع. وقالت طائفة: الآل والأهل واحد.

وروي عن غيره أنه سئل عن قول النبي ﷺ: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد». من آل محمد؟ فقال قائل: آله، أهله وأزواجه كافة. إلى أن الرجل تقول له: ألك أهل؟ فيقول: لا، وإنما يعني أنه ليس له زوجة، وقال: وهذا معنى يحتمله اللسان، ولكنه معنى كلام لا يعرف إلا أن يكون له سبب كلام يدل عليه، وذلك أن يقال للرجل: تزوّجت؟ فيقول: ما تأهلْتُ، فيعرف بأول الكلام أنه أراد: ما تزوّجتُ.

ومن المفيد أن أنهي هذا الموجز بقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّبَعْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا. وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا...﴾ [الأحزاب: ٣٢ - ٣٣].



مركز تحقيقات کاتویر علوم اسلامی

صدر عن مؤسسة المواهب للطباعة والنشر - بيروت

المناجاة
من آعلام الفلك والادب

تأليف
كاظم عبود القلاوي

دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر

بيروت - لبنان - حارة حريك ط. ب. ١٤/٥٤٧٩ تلفون: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٥٢٨٤٧ - فاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧